

معصرة السمسم البدائية تصارع للبقاء

عبد العزيز معافا - ضمّد

يتمسك علي إبراهيم بمعصرة السمسم البدائية التي ورثها عن والده، عملاً بمقولة «مهنة أبوك لا يغلبوك»، ويعتبرها مصدر دخله الثابت، ويراهن على جودة زيت السمسم المستخرج بالطرق التقليدية، مؤكداً أنه خال من الكوليسترول ويحوي فيتامينات قوية وحمضاً دهنيًا وهو مفيد في علاج الكثير من الأمراض.

وتعمل معصرة السمسم بواسطة جمل يدور حول نفسه لأكثر من خمس ساعات يوميًا وهو معصوب العينين - حتى لا يشعر بالدوران - ويطحن الجمل السمسم قبل أن يستخرج منه «الслиط» وهو الزيت الذي يستخلص من السمسم ويسمى لدى أبناء جازان بـ«الجلجلان».

وتتكون آلة العصر من قالب خشبي وذراع خشبية ثقيلة وصلبة تمتد خارج القالب وتحرك السمسم حتى يعصر، وهناك قطب المعصرة وهو القائم بين عود المعصرة والقوس، وراكبة المعصرة وهي الشدة التي



جمل يدور معصرة السمسم بالطريقة البدائية في محافظة ضمّد. (تصوير: المحرر)

عليها الحصى واكياس الرمل، ويتم تدوير الآلة بواسطة الجمل عكس اتجاه عقارب الساعة. ويوضع الزيت بعد عصره في اوعية خاصة ويباع امام العصاره، ويصل سعر الكيس الواحد منه إلى ٢٠٠ ريال، ولزيت السمسم نكهة خاصة ورائحة قوية، وكان يقال عنه «الслиط المسلط»

اي انه مسلط للقضاء على امراض كثيرة كبعض الامراض الجلدية والروماتيزم والصدفية ويستخدم كذلك كغذاء ودهان، وهذه الخصائص جعلت الكثير وخاصة من كبار السن يفضلون شراء زيت السمسم المستخرج عبر الوسائل البدائية. يقول إبراهيم إن هذه المهنة اندثرت

نتيجة الجهد الذي يبذل والأرباح القليلة التي تجني منه، وكذلك لارتفاع أسعار السمسم البلدي، هذا إلى جانب إنتشار الزيوت الصناعية بأنواعها المختلفة في الأسواق، لكنه يؤكد أن زيت السمسم الذي يستخرج بالطريقة البدائية أكثر فائدة من الزيوت الأخرى.

لا صوت يعلو فوق صوت الراديو

حسين الحجاجي - جدة



عبد الإله نوري : نصف قرن وأنا أستمع للأخبار عبر الراديو.

كبار السن لا الشباب

المهندس عوض حامد البوب الذي امضى فترة طويلة في صيانة هذه الأجهزة في جدة، قال: تعلمت صيانة أجهزة الراديو من خلال الدراسة، ولكن على أجهزة «الترانزستور»، وليست الموجودة حالياً التي تعمل بالشرية، فالأجهزة القديمة هي ما يمكنني إصلاحها، في حين اعتذر عن إصلاح النوعيات الحديثة، لهذا يعتبر أغلب الزبائن من كبار السن، أما الذين لديهم سيارات تستعمل أجهزة الراديو الحديثة، فلا تعامل معهم. ويضيف: الأجهزة القديمة أفضل من الحديثة راديو كانت أم مسجلات، والسبب أن القطع الإلكترونية التي تستعمل ذات جودة عالية، ولديها قدرة كبيرة على التحمل والعطل فيها نادر، أما الأجهزة الحديثة فالقطع فيها هشّة وعمرها قصير، خصوصاً في ظل ظهور القطع

الأخبار من «التلفزيون» منذ نصف قرن سوى من «الراديو». ولا يكاد يفارقني، لدرجة النوم فلا أضع رأسي ما لم يكن بجوارني أستمع للقرآن الكريم، أما في الصباح فلي إذاعتي المفضلة والتي أستمع للأخبار منها، ولا تعجبني الأخبار إلا منها، ثم بعد ذلك أنتقل بين المحطات، والكثير من الجيران يسألونني دائماً «ما الأخبار يا أبو عمر»، فسارد لهم التفاصيل.

تقريباً، فوجئت برجل يسأل عني في الحي، فأحضره بعض الأقارب فأبلغني بأنه يحمل أمانة، حالماً فتحتنا وجدنا الراديو. ويضيف، لا زال بحوزتي احتفظ به في صندوق بمفاتيح.

أما عطية محمد الزهراني (٦٠ عاماً) فيقول: كان لدي سيارة نقل موديل ٧٥ لم اشتريها، إلا بعدما تأكدت أن بها راديو، والسبب أنني كنت أنتقل بها كشاحنة عبر خط اليمن نجران في نقل البضائع، وكان الراديو الونيس في الطرقات، وكنت أتجول بين محطاته المختلفة، ولعلي أذكر منها إذاعة الشرق التي كانت تبث أغاني أم كلثوم، وأذكر أنني استمعت لأغنية كوكب الشرق «أروح لمن» كاملة ليلة بثها على الهواء، واستمرت قرابة الثلاث ساعات. لقد كان الراديو رفيقي وأصبحت لا أمضي يومي دونما يكون بالقرب مني وما زلت.

في الصباح الباكر حيث يستمع للأخبار وإلى إذاعة القرآن الكريم. ويحكي عن حالة نفسية أصابته بالحنن يوم أن تسبب أحد أبناء الجيران في تعطيل الراديو، بعد أن عبث به قائلاً: زارتنا زوجة جاري، وكنت خارج البيت، فأنزل أحد أبنائها «الراديو» من مكانه وعبث به، ما أدى لاحتراق قطع فيه، وعندما حملت الراديو في يدي، فوجئت بأن أسلاكه ممزقة، فحزنت وكانني فقدت أحد أولادي، ذهبت به إلى أغلب المهندسين، فقالوا لا يمكن إصلاحه، لأن قطع الغيار غير موجودة، وبقيت عامين على هذا الحال، إلى أن التقيت أحد

غير بعيد يقول صالح مروان مكاي (٧٣ عاماً) ورث من والده مديعاً كان يحتفظ به، ويضعه في صدر البيت ويشغله يوميا،

مشعل بخيت السناني (٦٩ عاماً) قال بحرقه: أيام المديع، كنا في أحسن حال ولو أن التطور توقف عنده، لكننا أسعد حالاً، على الأقل لن يحدث في الناس مثل التغييرات التي أحدثتها الفضائيات، والتي جلبت تبدلاً في العادات، وهشمت قناعاتنا الاجتماعية، وأنا ممن لم يستغنوا عن «الراديو» ولم يعجبني حال أغلب المحطات الفضائية، لهذا ابتعدت عنها بلا أسف.

الراديو أكثر احتشاماً

أولاد الجيران والعبث

عبد الإله محمد نوري (٨٧ عاماً) قال: لا أستسيغ متابعة

عشق متوارث

يشاطره الرأي المهندس عصام يوسف السيد قائلا: بالفعل الأجهزة القديمة تتميز بندرة أعطالها، وأن وجد بها فيكون بسيطاً، مقارنة بالأجهزة الحديثة التي لا تحتتمل مجرد السقوط البسيط على الأرض، فمن فوراً تتلف هذا إذا لم تنكسر اللوحة الإلكترونية الداخلية بها، أما الأجهزة القديمة فالوقوف مختلف، فلدي راديو عمره ٨٠ عاماً ولا زال يعمل بصورة ممتازة ولا زلت احتفظ به كذكرى، كما أنه يتميز بنقاء صوت واستقبال بمستوى عالٍ، لهذا كان الكثير من الزبائن يحضرون أجهزتهم لدي لإصلاحها، ويتمسكون بها وليس لديهم رغبة ببيعها، ولقد أحضر أحد كبار السن جهاز راديو دفع فيه مبلغ يصل إلى أكثر من ألف ريال، إلا أنه رفض بشدة، وكنت أحاول التوسط بينهما في عملية البيع التي لم تتم، فقد شاهد شخص الراديو في المحل أثناء إصلاحه، وطلب الاتصال بصاحبة من أجل شرائه، وعندما حضر صاحب الجهاز، رفض بيعه رغم أن الآخر حاول إغراءه بذلك المبلغ الكبير، كل هذا وذاك يعكس مدى الحب المتبادل بين تلك الأجهزة

القديمة وأصحابها. وأشار بالنسبة لي، فقد امتهنت صيانة الأجهزة وراثية، حيث كنت أحضر في صغري مع والدي للمحل، وأراقب عمله ما جعلني أعشق العمل واعتبره فناً يجب أن أتقنه، ولهذا صار الموضوع بالنسبة لي هواية قبل أن يكون لقمة عيش، وإلا لو سألتني الآن عن مدى الإقبال على صيانة المسجلات والراديوهات، لقلت لم يعد هناك إقبال، خصوصاً مع ظهور المقلدة والرخيصة، والتي تلقى بمجرد أن تتعطل.

السبب في الإذاعة

يكاد فواز سليم فؤاد الدين (٧٩ عاماً) يتغطر الماء، وهو يتحدث عن الفترة التي كان يترعب عليها الراديو قائلاً: كان الراديو هو الذي يلم الأحمدة والأقارب، ولعلي أذكر أنني كنت افتخر بأنني صاحب الراديو الذي تجتمع حوله الشلة وتتسامر عليه، وكان الجيران يأتون إلى بيتي ليستمعوا إلى أسماء الناجحين في الشهادة الابتدائية، يوم كانت تذاع، ولا زلت أتذكر تلك الليلة التي كان موعدنا مع إذاعة أسماء الناجحين، وكان عمي وأبناؤه يجلسون منصتين وكان على رؤوسهم الطير، وعندما جاء الدور على مدرسة ابن عمي لم يذكر اسمه، فغضب عمي، ولم يتمالك نفسه وهو جالس بين أبناء الحارة الذين كانوا فرحين بنجاح أبنائهم، لم يتمالك نفسه فأمسك براء الشاي ورماه

في وجه ابنته الراسب وطرده من المجلس، وهو يسب ويشتم فخرج ابن عمي بوجه قد حرقه الشاي، عندما راجع بعض أبناء الجيران المدرسة، عادوا لعمي وأكدوا له بأنهم وجدوا ابنه ضمن الناجحين، فنهض وأغلق دكانه وذهب ليتأكد من مدير المدرسة، فعلاً وجد ابنه ناجحاً ويتفوق.



أجهزة الراديو القديمة تتميز بنقاء الصوت. (تصوير: المحرر)

ذاكرة الأجداد تستدعي العصر الذهبي للألعاب الشعبية

الدمام: صالح الأحمد



بعض الصبية والبنات يلعبون طاق طاق طاوية (الوطن)

القديمة، وذلك عبر رسم ستة مربعات مستطيلة الشكل على تراب الأرض يقوم المتسابقون خلال اللعب بإلقاء حجرة صغيرة تعتبر أداة اللعب في أول المربع، مشيرة إلى أنه إذا بقيت الحجرة في المستطيل قام المتسابق بإكمال لعبه بالقفز على رجل واحدة ومن ثم يعمل بدفع الحصاة برجله إلى خارج رسم المستطيل فإذا أتم هذه الخطوة قام مرة أخرى بإلقاء الحصاة في المستطيل الثاني ثم يستكمل اللعب بنفس الطريقة التي بدأ بها حتى ينتهي من جميع مستطيلات الرسم، وأضافت في حال لم يقف أو لم تقف الحصاة على أحد المستطيلات أثناء دفعها برجله التي يقفز عليها يعتبر اللاعب في هذه الحالة فائزاً أما إذا تعثر فيحل محله لاعب آخر.

(خيل الجريد) والتي تصنع من جريد النخيل، حيث يوضع جريد النخل بين الرجلين ويمسك مقدمته باليد اليمنى ويمسك بيده الأخرى عصا صغيرة يستعملها لضرب السعف من الخلف أثناء الجري، بالإضافة إلى لعبة (الصبة) مشيراً إلى أنها تشبه إلى حد كبير الشطرنج وتعتمد في طريقة لعبها على رسم مربعات فوق الأرض أو على قطعة من الخشب ويلعبها شخصان وكل شخص يوجد عنده حجر مختلف عن الآخر فإذا أصبح الحجر خطأ عمودياً واحداً أو أفقياً يقول اللاعب اصطبت وبذلك يفوز.

من جهة أخرى تستذكر إحدى الأمهات أم إبراهيم في العقد الرابع ذكريات الطفولة من خلال لعبة (الحجلة) التي كانت تمارسها مع بنات الجيران في فرجات الدمام

كما أشار النجدي إلى لعبة (حدره بدره) والتي يمارسها الأطفال من الجنسين من سن 6 إلى 12 سنة وتتكون على الأقل من أربعة أطفال وما فوق، حيث يقف الأطفال في حلقة دائرية ويختارون أحدهم بالقرعة عن طريق الأنشودة (حدره بدره قلي عمي عدي العشرة) ويبدأ بالعد من ينتهي عنده العد يخرج لتنفيذ اللعبة ويغمض عينيه وهو يعد من واحد إلى عشرة ليعطيهم فرصة الاختباء ليقوم بعدها بالبحث عنهم وأول طفل يمسكه يقوم بتنفيذ الدور مرة أخرى. ويشير أحد أبناء سيهات في منتصف العقد الرابع من عمره ضياء آل محمد إلى إحدى الألعاب التي كان يمارسها في طفولته مع أبناء قريته والتي كانت تزدهر في شهر رمضان وهي لعبة

"طاق طاق طاوية، رن رن يا جرس، حول واركب غلفرس"، مقدمة أهازيج ارتبطت بالألعاب شعبية تمارس قبل طفرة التسعينيات الهجرية في المنطقة الشرقية ودول الخليج العربي، والتي لا تعدو اليوم أكثر من اليوم ذكريات تتصفحها ذاكرة الأجداد والآباء والأمهات في ظل عالم متسارع بالتقنيات الحديثة، عبدالله النجدي في العقد الخامس من عمره وأحد ممارسي تلك الألعاب الشعبية في طفولته بمسقط رأسه بقرية العمران بالأحساء، يصف تلك الحقبة بالعصر الذهبي التي تميزت بتعزيز روابط أبناء القرى والأحياء القديمة. وعن أشهر تلك الألعاب التي عرفها أبناء المنطقة في الأحساء والقطيف أشار النجدي إلى مجموعة يأتي في مقدمتها لعبة (طاق طاق طاوية) لافتاً إلى أنها لعبة مشتركة بين الأطفال والتي تحتاج غالباً لممارستها إلى ساحة وعدد من الأطفال لا يقل عن عشرة، حيث يجلس اللاعبون على شكل حلقة على الأرض ويختارون من بينهم من يتولى عملية الدوران حول الحلقة من الخارج وفي يده الطاوية وهو ينشد (طاق طاق طاوية ويرددون خلفه رن رن يا جرس ويرد هو عليهم حول واركب غلفرس) ويغافل اللاعب أحد اللاعبين ويسقط خلفه الطاوية وحين يعرف أن الطاوية وضعت له يحملها ويلحق اللاعب الأول قبل أن يستطيع الوصول إلى مكانه لتبدأ دورة اللعب من جديد.

وضع الخراب (حبل مرسة السفينة) في المكان الملائم في قاع البحر .

- النهام : وهو المنشد الذي يردد أهالي البحر فوق السفينة طيلة أيام الرحلة .

- راعي الشيرة : وهو بحار ذو خبرة بعملية تخليص البائرة (مرسة السفينة) من القاع في حالة إغاقتها أدوات الغوص .

وللغوص أنواع معروفة وأبرزها هي :

- الفطام : قطعة مصنوعة من عظام قرن الوعل أو من عظام السلحفاة على شكل ملقاط ويضعه الغواص في أنفه ليمنع التنفس حيث يكون تحت سطح الماء .

- الحجارة : قطعة من الحجر أو أحيانا تكون من الرصاص تزن عادة ٥ كيلو غرام وفيها ثقب تنفذ من خلاله حلة من الحبال حولها قطعة من القماش الناعم لئلا تؤذي الحجارة الغواص الذي يدخل إحدى رجليه في الحلقة ودور الحجارة في عملية الغوص الإسراع في إيصال الغواص إلى قاع البحر وحين يصل القاع يبادر فوراً إلى إخراج رجله من الحجارة فيقوم السيب بإخراج الحجارة التي ظهر السفينة ويبدأ الغواص السير في الأعماق بحثاً عن الأصداف .

- الدين : سلة من الشبكة الخفيفة المصنوعة من الخيوط الناعمة يجمع فيها الغواص أصداف البحر .

- الأيدة : حبل رفيع وطويل طرفه متصل بالدين الذي مع الغواص في قاع البحر والطرف الآخر مع السيب ومهمة الأيدة مساعدة الغواص في عملية الصعود من قاع البحر إلى السفينة سريعاً .

- الشمشول : قطعة من القماش الخفيف والأسود يلبسها الغواص ليستر بها جسمه حيث يكون عارياً إلا من الشمشول .

- حلة الغوص : بدلة ضيقة جداً تلتصق بالجسم مصنوعة من القماش الخفيف الأسود الذي يستر جميع بدن الغواص عند العينين ، وهذه البدلة يلبسها الغواص لتجنب ظهور الدلو على سطح البحر وهو حيوان بحري صغير بطيء الحركة إسطواني الشكل يمتد منه خيوط دقيقة بطول نصف متر إذا لامست جسم الإنسان فإنها تحدث عنده حرقاً سامة حمراء تبقى قدراً من الزمن ظاهرة .

- الخبط : قطعة من جلد البقر مصنوعة على شكل أكياس صغيرة يضعها الغواص في أصابع يده لتحميه من أذى الصخور الحادة والأشواك .

- الإزار : قطعة من القماش بطول مترين يستعملها البحارة إنزارة على أسفل البطن والفخذين أثناء الراحة .

هذه كانت إطلالة على الماضي الجميل وما به من المشاق والتعب والصبر والجلد في سبيل حياة كريمة .

في أواخر شهر سبتمبر وأوائل شهر أكتوبر ويكون الجو فيها بارداً .

الرويدة : ويبدأ موسمه بعد إنتهاء موسم الريدة أي بداية شهر نوفمبر .

رحلة الغوص

تبدأ رحلة الغوص بالام ودموع الوداع للأهل من نساء وصبية وعجائز ، وجرت العادة على تحديد أمير للغوص يطلق عليه اسم (السردال) وهو مسئول عن ترتيب أمور الغوص العامة وأن يدل السفن على المغاصات وتحديد الاتجاهات الصحيحة ويعرف اليوم الأول بيوم الركبة واليوم الأخير بيوم القفال أي موعد إنتهاء الغوص .

يقول الشاعر أحمد الخليفة مصوراً جزءاً من رحلة الغوص والامها :

شراع تاه في عرض البحار
كما طيف يهيم بلا قرار
يسير على العباب ولا يبالي
تترف عليه أرواح نشامى
بسكر الدر لا بسكر العقار
عماليق لهم في كل بحر
حكايات تسطر بافتخار
إذا ما هزهم للبحر قصد
مشو نحو الصعاب بلا اعتذار

وينقسم البحارة في السفن إلى أقسام كل قسم له عدل محدد وهي :

- الربان : ويسمى النوخذة وهو المسئول عن السفينة ويجب أن يكون ذا خبرة في أعماق البحار وأماكن الأصداف .

- الجعدي : وهو الذي يكون نائب الربان ويحل محله .

- المقدي : وهو رئيس البحارة المسئول عن العمل في السفينة .

- الغاصة : الذين يباشرون الغوص داخل البحار للبحث عن الأصداف والمحار .

- السيوب : ومهمتهم سحب الغاصة من قاع البحر وفق إشارات متعارف عليها .

- الرضيعة : وهم مجموعة من الصبية لاتزيد أعمارهم عن ١٤ سنة يقومون بالخدمة الخفيفة .

- التباب : وهم أربعة أو خمسة صبيان مهمتهم خدمة السفينة ومناولة بحارتها الماء والأواني الخفيفة .

- العزال : وهو الذي يعمل بمعزل عن طاقم الرحلة المعتاد فهو يغوص على حسابه الخاص ويكون معه سيباً خاصاً يعمل معه .

- الجلامة : وهم مجموعة من العاملين يتراوح عددهم ما بين ٥ و ٧ أشخاص يشكلون احتياطاً للعاملين من الغاصة .

- الجنان : وهو البحار المكلف بمهمة الإشراف على